

فقه التعلم ومقاصد الشريعة

د. فتحية مسعود مُجد الطابوني - جامعة الجفرة - كلية الآداب - قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

مقدمة البحث

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، والذي يفتح للناس أبواب العلم والحكمة والفهم .
والصلاة والسلام على خير خلقه الذي بعث للناس معلماً ، فكان العلم في القرآن الذي نزل عليه ،
والسلوك والعمل الذي عمل به .

ورضى الله عن الصحابة الكرام الذين ورثوا العلم من النبي - ﷺ - فكانوا للناس أمناً وأماناً .
إن لفقه التعلم أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع والدولة؛ لأنه يوضح فقه مراتب التعلم من ناحية
التقديم والتأخير، ويبين فقه التعلم بين الأحكام الشرعية أيها واجب وأيها مستحب وآخر مكروه ومحرم،
ومن الذي يستحق الاهتمام ومن لا يستحق، ومن حان وقت العمل به، ومن يمكن تأخير الحديث عنه
ليس تقليلاً منه، وإنما مراعاة لفقه الأولويات في التعلم حسب الواقع والزمن الذي تحياه الأمة

لذا جعلنا هذا البحث يربط بين علمين شريفيين لكل منهما أهمية كبيرة في مجال التشريع الإسلامي، وهما
فقه الأولويات في التعلم وعلم المقاصد الشرعية، فأوضحنا اهتمام التشريع الإسلامي بالأولويات في
التعلم في تقريره للأحكام الشرعية المختلفة، كما ويأتي البحث ليحدد العلاقة بين هذين العلمين، حيث
ترتبط مقاصد الشريعة وكلياتها الخمس بفقه التعلم حيث راعت مقاصد الشريعة الأولويات في التعلم في
فروعها، بل إن هذه المقاصد مبنية على أساس مراتب الأعمال ومقاصدها من حيث كون بعضها أولى
من بعض، فإن منها ما يجب أن يقدم، ومنها ما ينبغي أن يؤخر، وبعضها أهم من بعض ، بل يقدم ما
حقه التقديم، ويؤخر ما حقه التأخير بناء على المقصد الشرعي الذي تكمن فيه مصلحة المجتمع.

لذا جعلنا البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة تتضمن لأهم النتائج والتوصيات على النحو التالي:
المبحث الأول: تعريف فقه التعلم وأهميته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف فقه التعلم.

المطلب لثاني: أهمية فقه التعلم

المبحث الثاني: علاقة المقاصد الشرعية بفقه التعلم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المحافظة على العقل.

المطلب لثاني: أولوية فرض العين على فرض الكفاية.

المبحث الثالث: منهج التفكير العلمي ونشر العلم وفق مقصد حفظ العقل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشريعة الإسلامية تدعو إلى منهج التفكير العلمي.

المطلب لثاني: نشر العلم بالنسبة الفرد والأمة أو المجتمع.

المبحث الرابع: الآداب الشرعية لتحقيق التعلم ومقصد حفظ العقل.

وفيه ثلاثة طالب:

المطلب الأول: طلب العلم.

المطلب لثاني: آداب المعلم.

المطلب الثالث: الأسباب المعينة على طلب العلم.

المبحث الأول: تعريف فقه التعلم وأهميته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف فقه التعلم.

المطلب لثاني: أهمية فقه التعلم.

سيتم في هذا الحديث عن تعريف فقه التعلم في اللغة والاصطلاح، والمقاصد في اللغة والاصطلاح ثم

بيان أهمية الفقه بهذا العلم وتطبيقه في حياة الأمة.

المطلب الأول: تعريف فقه التعلم ومقاصد الشرعية.

أ. تعريف الفقه:

كلمة الفقه مكونة من الفاء والقاف والهاء، "هي تدل على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهت

الحديث أفقهه، وكل عالم بشيء فهو فقيه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال

والحرام: فقيهه، وأفقهتكم الشيء، إذا بَيَّنَّته لك ، والفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين، لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كله (1).

قال الراغب الأصفهاني: "الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد. فهو أخص من العلم، قال تعالى: [فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا] (2)، وقال: [وَلَكِنَّ الْمُبَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ] (3) إلى غير ذلك من الآيات ، والفقه العلم بأحكام الشريعة. يقال: فقه الرجل فقاهاه، إذا صار فقيهاً (4).

من هذه النصوص اللغوية وغيرها، نستنبط أمرين اثنين:

الأول: معنى الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء، أو هو فهم ما يريد المتكلم خاصة، ومنهم من يقصر مفهومه على علم الأمور الخفية الدقيقة التي تحتاج إلى نظر وتأمل واستدلال .

والثاني: أن العرف قد خصَّ الفقه بعلم الدين، أو العلم بأحكام الشريعة كلها.

وهذا المعنى الشرعي العام هو الذي كان معروفاً عند السلف في العصور المتقدمة، قبل أن يخصصه المتأخرون من الفقهاء والأصوليين. في التعريف المشهور بقولهم: "الفقه هو معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية" (5).

(1) مَقَائِيسُ اللَّغَةِ لِأَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسِ بْنِ زَكْرِيَّاءَ. لمحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، (4/442)؛ لسان العرب

المؤلف: مُحَمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت، ط(3) - 1414هـ (13/522).

(2) سورة النساء الآية (78)

(3) سورة المنافقون الآية (7)

(4) المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط(1) - 1412هـ ص 384.

(5) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، المؤلف: شمس الدين مُحَمَّد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي . دار الفكر، بيروت، ط (أخيرة) - (1404هـ/1984م - (1/31)؛ فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بمناشئة الجمل (منهج

الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب) المؤلف: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل. دار الفكر، (1/21)، فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب = القول المختار في شرح

غاية الاختصار (ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع)، المؤلف: مُحَمَّد بن قاسم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابتن قاسم وابن الغرابلي . بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي. الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان، ط(1)، - 2005 م ، ص 22.

ب. تَعْرِيفُ الْعِلْمِ:

1 - الْعِلْمُ فِي اللَّغَةِ: يُطْلَقُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَالشُّعُورِ وَإِنْتِقَانِ وَالْيَقِينِ، يُقَالُ: عَلِمْتُ الشَّيْءَ أَعْلَمُهُ عَلِمًا عَرَفْتُهُ، وَيُقَالُ: مَا عَلِمْتُ بِخَيْرٍ قُدُومِهِ أَي: مَا شَعَرْتُ، وَيُقَالُ: عَلِمَ الْأَمْرَ وَتَعَلَّمَهُ: أَتَقَنَّهُ (1) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: عَلِمْتُ الشَّيْءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا: عَرَفْتُهُ، (2) بِالْكَسْرِ، فَهَذَا كَمَا تَرَى لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ إِدْرَاكُ الْجُزْئِيَّاتِ، وَالْعِلْمَ إِدْرَاكُ الْكُلِّيَّاتِ.

وَأَصْطِلَاحًا: هُوَ حُصُولُ صُورَةِ الشَّيْءِ فِي الْعَقْلِ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْكُلِّيَّاتِ: وَالْمَعْنَى الْحَقِيقِيُّ لِلْفِعْلِ الْعِلْمِ هُوَ الْإِدْرَاكُ، وَهَذَا الْمَعْنَى مُتَعَلِّقٌ وَهُوَ الْمَعْلُومُ، وَهُوَ تَابِعٌ فِي الْحُصُولِ يَكُونُ وَسِيلَةً إِلَيْهِ فِي الْبَقَاءِ وَهُوَ الْمَلَكَةُ، فَأُطْلِقُ لَفْظَ الْعِلْمِ عَلَى كُلِّ مِنْهَا؛ إِمَّا حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً أَوْ اصْطِلَاحِيَّةً أَوْ مَجَازًا مَشْهُورًا (3).

تَعْرِيفُ تَعْلِيمٍ وَتَعَلُّمٍ

التَّعَلُّمُ لُغَةً: مَصْدَرٌ تَعَلَّمَ. وَالتَّعَلُّمُ مُطَاوَعُ التَّعْلِيمِ، يُقَالُ: عَلَّمْتُهُ الْعِلْمَ فَتَعَلَّمَهُ. وَالتَّعْلِيمُ مَصْدَرٌ عَلَّمَ: يُقَالُ: عَلَّمَهُ إِذَا عَرَفْتَهُ، وَعَلَّمَهُ وَأَعْلَمَهُ إِبَاهُ فَتَعَلَّمَهُ، وَعَلِمَ الْأَمْرَ وَتَعَلَّمَهُ: أَتَقَنَّهُ. والعلم من صفات الله - عز وجل - العليم ، والعالم والعلام .

وَالْعِلْمُ نَقِيضُ الْجَهْلِ. وَعِلْمٌ عِلْمًا، وَعِلْمٌ هُوَ نَفْسُهُ، وَيَفْرُقُ ابْنُ جَنِيٍّ بَيْنَ الْمُتَعَلِّمِ وَالْعَالِمِ، فَالْمُتَعَلِّمُ هُوَ حَالُ الشَّخْصِ الَّذِي يَتَعَلَّمُ، وَيُوصَفُ وَهُوَ فِي أَوَّلِ طَرِيقِ الْحُصُولِ عَلَى الْعِلْمِ، فَإِذَا مَا طَالَ بِهِ الطَّرِيقُ، وَاسْتَعْمَلَ مُمَارَسَتَهُ حَتَّى بَدَأَ وَكَانَتْ صَنَعٌ فِيهِ سَمَى عَالِمًا. وَعَلِمْتُ الشَّيْءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا: عَرَفْتُهُ، وَتَقُولُ عِلْمٌ وَتَفَقَّهُ، أَي تَعَلَّمُ وَتَفَقَّهُ، وَعِلْمٌ وَفَقَهُ أَي سَادَ الْعُلَمَاءُ وَالفقهاء.

(1) لسان العرب ، مادة "علم". المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس. المكتبة العلمية - بيروت، مادة "علم".

(2) منتخب من صحاح الجوهري، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. مادة "علم"

(3) شرح المواقف للجرجاني 1 / 62 وما بعدها ط. مطبعة السعادة 1325هـ؛ لكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي . المحقق: عدنان درويش - مجتهد المصري . مؤسسة الرسالة - بيروت 3 / 204 وما بعدها؛ المستصفي ، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي . تحقيق: مجتهد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية، ط(1)، 1413هـ - 1993م 1، / 25.

التَّعَلُّمُ اصطلاحًا والعِلْمُ أيضًا: هُوَ اغْتِنَاؤُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الثَّقَةِ. وَجَاءَ بِمَعْنَى: الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا (1). قَالَ الرَّاعِبُ: التَّعْلِيمُ وَالْإِعْلَامُ فِي الْأَصْلِ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّ الْإِعْلَامَ اخْتَصَّ بِمَا كَانَ بِإِحْتِبَارٍ سَرِيعٍ، وَالتَّعْلِيمَ اخْتَصَّ بِمَا يَكُونُ بِتَكَرُّرٍ وَتَكْثِيرٍ، حَتَّى يَخْصُلَ مِنْهُ أَثَرٌ فِي نَفْسِ الْمُتَعَلِّمِ. رُبَّمَا اسْتُعْمِلَ التَّعْلِيمُ بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ إِذَا كَانَ فِيهِ تَكَرُّرٌ (2) نَحْوُ {أَتَعَلَّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ} (3). وَلَا يَخْرُجُ الْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِيُّ لِلتَّعْلِيمِ عَمَّا ذُكِرَ.

وهذه التعريفات جامعة للمراد بفقهاء التعلم فهي تشمل كل النواحي التي تدخل ضمنه من فهم وتعلم وتفكير وتدبر في الأحكام الشرعية والمقاصد الشرعية للحفاظ على العقل حتى يؤدي وظيفته كما يجب.

ج- تعريف المقاصد في الشريعة الإسلامية.

أولاً: المقاصد في اللغة:

المقاصد: جمع مقصد فيقال: قصد يقصد قصداً ومقصداً، وعليه فإن المقصد له معان لغوية كثيرة منها:

1. الاعتماد والتوجه واستقامة الطريق قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا

جَابِئٌ﴾ (4).

2- التوسط وعدم الإفراط والتفريط قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ (5)، وقال الرسول -

ﷺ - "القصد القصد تبلغوا" (6).

(1) لسان العرب، والمصباح المنير، والصحاح مادة: "علم".

(2) مفردات الراغب ص 348.

(3) سورة الحجرات الآية (16).

(4) سورة النحل الآية (9).

(5) سورة لقمان الآية (19).

(6) البخاري، كتاب الرفاق، باب القصد والمداومة على العمل.

ثانياً: المفهوم الاصطلاحي للمقاصد:

مقاصد الشريعة الإسلامية هي جملة المعاني والأهداف والغايات التي تضمنتها أحكام الشرع وأدلته، أو غايات التشريع الإسلامي ومراميه وأهدافه. عرّفها الريسوني بقوله: "إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"⁽¹⁾.

عرّفها نور الدين الخادمي: "المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين"⁽²⁾.

ومن خلال ملاحظتنا لما سبق من التعريفات لكل من الفقه والتعلم والمقاصد نجد أن جميعها جاءت بمعنى فهم وإدراك الشيء والعلم به ومعرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية ومقاصدها المترتبة عليها سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية وهي تتجمع ضمن هدف واحد، وقد ارتبطت جميعها بالأحكام الشرعية.

المطلب الثاني: أهمية فقه التعلم:

إن لفقه التعلم أهمية كبيرة كباقي أنواع الفقه، فالعلم به يدعونا لترتيب الأعمال، وبيان ما يجب أن يقدم ويؤخر، وما هو واجب وما هو مستحب، وأيهما محرّم، وأيهما يستحق الاهتمام وبذل الجهد، وأيهما لا يستحق، ومن الذي حان وقت العمل به، وأيهما يؤخر الحديث عنه لا للتقليل من قيمته وإنما مراعاة لفقه ترتيب التعلم في حياة الأمة بما يحقق المصلحة للمجتمع.

وما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى بيان هذا النوع من الفقه؛ لأن الهدف من التعليم في الشريعة الإسلامية هو زيادة علم المسلمين مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽³⁾ حتى تثبت أفئدتهم

(1) الريسوني (أحمد)، نظرية المقاصد عند الشاطبي، ص(7).

(2) الخادمي (نور الدين)، الاجتهاد المقاصدي حجتيه، ضوابطه، مجالاته، ج(1)، ص(52-53)؛ نقلاً عن علم المقاصد الشرعية، لنور الدين الخادمي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط(1)، 1421هـ/2001م، ص(17).

(3) سورة طه الآية (114)

على الإسلام بالعمل بأحكامه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (1) وقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (2).

إنّ قضية التعلم اليوم، قد دخلها دخن كثير، وشابتها شوائب كثيرة، إن هذا الاختلال في الموازين عاجلته الشريعة من خلال الحث على الفهم الصحيح للواقع الذي تعيشه الأمة، وفهم المقاصد الكلية والأهداف الرئيسية من التعليم والمبادئ التي جاءت بها الشريعة، فإدراك الواقع الذي يحيط بالأمة وفهمه لهو حريّ بأن يؤدي إيجابيات واضحة ونتائج سليمة حيث يقول ابن القيم - رحمه الله -: "لا يتمكن الحاكم والمفتي من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقهاء فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والامارات والعلامات حتى يحيط به علماً، والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع" (3).

وجعلت الشريعة الإسلامية بين أحكامها المتعلقة بأنواع العلوم وضبطها ما هو مهم وأهم، وما هو واجب وفرض ومندوب ومستحب، والمكروه والمحرّم حيث يوجد أولويات في علوم العقيدة وأخرى في العبادات، وهناك أولويات التعلم في المعاملات، وهناك أولويات في التخصصات العلمية حسب احتياج المجتمع، وهناك أولويات في العمل ومراتبه، وفي كل مناحي الحياة اليومية تجد أولويات لا بد من العمل بها وترتيبها حسب الأولوية التي تحقق نفعاً للعباد والبلاد.

وإن للمسلم مطالب وخاصة في عصرنا بالسعي نحو الأفضل والأكمل، وتقديم المصالح دون المفساد، وبيد الجهد لتحقيق الأولى في كل ما يقوم به تعلم علوم ترتبط في الدنيا أو الآخرة، بل حثت الشريعة على ضرورة الوصول إلى الأفضل وعلم وعمل الأجود في زمن أساء بعض المسلمين التقدير في ترتيب المصالح ودرء المفساد، بسبب غياب فقه التعلم وعدم القدرة على استنباط الأحكام التي تتناسب وتطورات العصر ومتطلباته التي تنبثق عنها قضايا مصيرية وملحة تتطلب وحدة الأمة والتفاهم في العلم بها والعمل على حلها بما يحقق النفع بأقل الخسائر.

(1) سورة إبراهيم الآية (27).

(2) سورة الفرقان الآية (32).

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق: محمد عبد

السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (1) - 1991م، مجلد 1، ص 88.

المبحث الثاني

علاقة المقاصد الشرعية بفقهاء التعلم

لقد تم الحديث في هذا المبحث عن مطلبين: الأول منها يبين المحافظة على العقل ، أما الثاني فهو يوضح أولويات فقه تعلم فرض العين على فرض الكفاية.

المطلب الأول: المحافظة على العقل⁽¹⁾.

أ- يلاحظ أن العقل فعل، وليس عضواً من أعضاء الجسم ، وإنما العضو هو المخ والحواس التي تمده بالمعلومات-وسائل الإدراك- من سمع وبصر وذوق وشم ولمس ،والجهاز العصبي الذي يقوم بوظيفة الاتصال بين هذه الوسائل والمخ.

-حفظ العقل يعني:

- 1- المحافظة على سلامة المخ والحواس والجهاز العصبي، واجتناب ما يؤدي إلى إتلافها من كل مسكر ومخدر، وعلاج ما قد يطرأ عليها من أمراض نفسية وعصبية وعقلية.
- 2- هذا من ناحية المحافظة على الأجهزة المادية لعقل الإنسان ، ولكن هناك المعارف والمهارات اللازم اكتسابها كي يقوم العقل بوظائفه، والتي لا تقتصر على ما يتعلق بالعقيدة والعبادة، وإنما كذلك ما يعبر عنه في لغة التربية الحديثة بالتعليم الأساسي مما يعتبر من فروض الأعيان.
- 3- وهناك منطقة بينية تتداخل بين حفظ العقل وحفظ المال تتمثل في اكتساب المعارف والمهارات اللازمة لعمارة الأرض وكسب الرزق في نواحي التخصص المهني والحرفي مما يدخل في فروض الكفاية.
- 4- وكذلك اجتناب السلوكيات المؤدية لتعطيل وظيفة العقل أو التشويش عليها، كاتباع الهوى والتقليد الأعمى، والجدال والعناد ، والمكابرة مما يتنافى مع التفكير العلمي.
- 5- كما يحث القرآن على إعمال العقل كملكة فطرية.
- 6- ولأجل تدريب العقل على وظائفه العليا من الاستدلال العقلي والاستقرائي والتاريخي وصولاً إلى قضايا العقيدة الكبرى، شرعت العبادات العقلية من تفكير وتعقل، وتذكر وتدبر، وتبصر ونظر، واعتبار ، وتمثل هذه الناحية منطقة بينية أخرى تتداخل بين حفظ العقل وحفظ الدين.

(1) نحو تفعيل مقاصد الشريعة .د. جمال الدين عطية. دار الفكر ،دمشق -سورية ،ص(143-144).

المطلب الثاني: أولوية فرض العين على فرض الكفاية:

والعلوم نفسها متفاوتة في الرتبة فبعضها مقدم على بعض، ومن ذلك فرض العين وفرض الكفاية. يَخْتَلِفُ الْحُكْمُ التَّكْلِيفِيُّ تَبَعًا لِفَائِدَةِ الْعِلْمِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ، فَمِنْهُ مَا تَعَلَّمُهُ فَرَضٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُحَرَّمٌ، وَالْفَرَضُ مِنْهُ مَا هُوَ فَرَضٌ عَيْنٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ.

فَرَضُ عَيْنٍ : فَمِنْ الْعُلُومِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا فَرَضٌ عَيْنٌ تَعَلَّمُ مَا يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ عِلْمِ الْفِقْهِ وَالْعَقِيدَةِ. قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ نَقْلًا عَنِ الْعَلَامِيِّ: مِنْ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ تَعَلَّمُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ وَإِخْلَاصِ عَمَلِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَمُعَاشَرَةِ عِبَادِهِ، وَفَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ وَمُكَلَّفَةٍ بَعْدَ تَعَلُّمِهِ عِلْمَ الدِّينِ وَالْهُدَايَةَ تَعَلَّمُ عِلْمَ الْوُضُوءِ وَالْعُسْلِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَعِلْمَ الزَّكَاةِ لِمَنْ لَهُ نِصَابٌ، وَالْحُجَّ لِمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ، وَالْبُيُوعَ عَلَى التَّجَارِ لِيَحْتَرِزُوا عَنِ الشُّبُهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ، وَكَذَا أَهْلَ الْحَرِيفِ وَكُلَّ مَنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ يُفَرِّضُ عَلَيْهِ عِلْمُهُ وَحُكْمُهُ لِيَمْتَنِعَ عَنِ الْحَرَامِ فِيهِ (1).

فُرُوضِ الْكِفَايَةِ : وَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، فَهِيَ الْعُلُومُ الَّتِي لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْهَا فِي إِقَامَةِ دِينِهِمْ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، كَحِفْظِ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ، وَعُلُومِهِمَا وَالْأَصُولِ، وَالْفِقْهِ، وَاللُّغَةِ وَالتَّصْرِيفِ، وَمَعْرِفَةِ زُورَةِ الْحَدِيثِ، وَالْإِجْمَاعِ، وَالْخِلَافِ.

وَمِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ أَيْضًا: الْعُلُومُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي قِيَامِ أَمْرِ الدُّنْيَا كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَالصَّنَائِعِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ قِيَامِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا كَالنَّبَاتِ وَالْفَلَاحَةِ وَنَحْوِهَا (2)

فالطب ضروري لبقاء الأبدان وسلامتها، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وأرشد إلى استعماله، فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله، وهو فرض كفاية، وأفضل العلوم بعد علم الشرع، وفيه أجر بحسب نية صاحبه.

وكذلك الحساب تعلمه ضروري في المعاملات، وقسمة الموارث والوصايا. وهو فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الفرض عن الباقيين. وكذلك كل ما يحتاجه الناس في حياتهم تعلمه فرض كفاية كالزراعة، والصناعة ونحو ذلك.

(1) رد المحتار على الدر المختار، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي. دار الفكر-

بيروت، ط (2) 1992م / 1 / 29 وما بعدها

(2) حاشية ابن عابدين 1 / 29، 30، المجموع شرح المهذب، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. دار الفكر

1 / 26، 27.

ومندوب: العُلُومُ المَندُوبَةُ هِيَ التَّوَسُّعُ فِي العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالآخِثَا، وَالإِطْلَاقُ عَلَى عَوَامِضِهَا (1)
المُحَرَّم: وَأَمَّا العُلُومُ المَحَرَّمَةُ فَمِنْهَا: الشَّعْوَذَةُ، وَهِيَ: حِفَّةٌ فِي اليَدِ كَالسِّحْرِ تَرَى الشَّيْءَ بِعَيْرٍ مَا عَلَيْهِ
أَصْلُهُ.

قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ: وَأَفْتَى ابْنُ حَجَرٍ فِي أَهْلِ الحَلِيقِ فِي الطُّرُقَاتِ الدِّينِ لَهُمْ أَشْيَاءٌ عَرِيْبَةٌ كَقَطْعِ رَأْسِ إِنْسَانٍ
وإِعَادَتِهِ وَجَعْلِ نَحْوِ دَرَاهِمٍ مِنَ التُّرَابِ وَعَبْرٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ فِي مَعْنَى السِّحْرِ إِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْهُمْ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ
ذَلِكَ، وَلَا لِأَحَدٍ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهِمْ (2).

وَمِنَ العُلُومِ المَحَرَّمَةِ: كُلُّ مَا يَفْسِدُ البِلَادَ وَالعِبَادَ وَالأَخْلَاقَ الكِهَانَةَ وَالسِّحْرَ وَالرِّثْمَلَ وَبَعْضُ أَنْوَاعِ
التَّنْجِيمِ.

ونحو ذلك.

المُكْرُوه: وَأَمَّا العُلُومُ المَكْرُوهَةُ فَهِيَ الأَشْعَارُ. قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ: المَكْرُوهُ مِنْهُ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ
صِنَاعَةً لَهُ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِ وَأَشْعَلَهُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَبِهِ فُيَسَّرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِأَنَّ يَمْتَلِي جَوْفُ أَحَدِكُمْ فَيَحَا حَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي شِعْرًا (3) فَالْيَسِيرُ مِنْ ذَلِكَ لَا تَأْسَ بِهِ
إِذَا قَصَدَ بِهِ إِظْهَارُ التِّكَاثِ وَاللِّطَافَاتِ، وَالتَّشَابِيهِ الفَائِقَةِ، وَالمَعَانِي الرَّائِقَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي وَصْفِ الحُدُودِ
وَالفُدُودِ، أَمَّا الزَّهْرِيَّاتُ المُجَرَّدَةُ عَنِ ذَلِكَ المُتَصَمِّنَةُ وَصَفَ الرِّيَاحِينَ وَالأَزْهَارِ وَالمِيَاهِ فَلَا وَجْهَ لِمَنْعِهِ
(4).

- المُبَاح: وَالعُلُومُ المُبَاحَةُ كَأَشْعَارِ المُؤَلِّدِينَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا سُخْفٌ، وَلَا شَيْءٌ بِمَّا يُكْرَهُ، وَلَا مَا
يُشَيِّطُ إِلَى الشَّرِّ، وَلَا مَا يُبْطِطُ عَنِ الحَيْرِ، وَلَا مَا يَحْتُ عَلَى حَيْرٍ أَوْ يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَيْهِ (5).

- لأن تحصيل العلم وتأليف الكتب قد يكون مقصوده الأصلي التبعيد والطاعة، وقد يقصد المكلف
حمد الناس وشكرهم ومدحهم، فيحكم على هذا القصد بالمنع والفساد، إذا كان المبعث الرياء

(1) المراجع السابقة.

(2) حاشية ابن عابدين 1 / 30 وما بعدها.

(3) حديث: " لأن يمتلي جوف أحدكم. " أخرجه البخاري (فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر
أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُجَدُّ فؤاد عبد الباقي 10 / 548) من
حديث ابن عمر.

(4) حاشية ابن عابدين 1 / 32، 33، المجموع 1 / 27.

(5) المراجع السابقة.

- والسمعة والشهرة، ويحكم عليه بالجواز والصلاح إذا كان المبعث التربية بالقودة، والحث على طلب العلم ونشره.
- فالحكم الأول: يجعل القصد من قبيل المقاصد التابعة غير المشروعة، أي من قبيل المقاصد التابعة المؤكدة المقوية للمقاصد الأصلية.
- أما الحكم الثاني: فإنه يجعل القصد من قبيل المقاصد التابعة المشروعة، أي من قبيل المقاصد التابعة المؤكدة والمقوية للمقاصد الأصلية.
- وإذا كان القصد الأصلي تابعاً للقصد التبعية فلا شك أن البطلان، ولا خلاف في فساد القصد التبعية؛ لأنه حل محل المقصد الأصلي.
- ذكر الشاطبي تفاصيل مهمة لهذه المراتب وبينها بالتمثيل الموسع والتعليق المفيد فليرجع إليه في مظانه⁽¹⁾.

المبحث الثالث: منهج التفكير العلمي ونشر العلم وفق مقصد حفظ العقل.

لقد تم الحديث في هذا المبحث عن مطلبين: الأول منها فقد تحدث عن الدعوة إلى منهج التفكير العلمي، أما الثاني فهو يوضح عرض نشر العلم بالنسبة للفرد والأمة أو المجتمع.

المطلب الأول: الشريعة تدعو إلى منهج التفكير العلمي.

ليس هناك من هو أقدر من الله خالق كل شيء على تقديم الطريقة الكاملة للبشر. وليس هناك منهج واحد غير المنهج الإلهي يستطيع أن ينهض بحاجات النفوس البشرية. وليس هناك كالمناهج الإلهي يفي بذلك، إذ هو المنهج الذي ارتضاه الله عز وجل⁽²⁾ في آيات كثيرة تدعو إلى التفكير وهي ست عشرة آية تناولت التفكير في مظاهر الوجود المختلفة سواء الآيات الكونية، أو آيات الأنفس، أو الدلائل المؤكدة للتوحيد وما تتسم به رساله محمد ﷺ - من صدق مثل قوله - عز وجل - إِنَّ فِي دَلِيلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ⁽³⁾، وآيات تدعو إلى الاعتبار وذلك في سبع آيات نذكر منها

(1) انظر الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللحمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان ط(1) 1997م ج (2) مبحث المقاصد الأصلية والتابعة.

(2) نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، توفيق محمد سبع. القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، 1971. ج(1)، ص(77).

(3) سورة النحل الآية (10-11).

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾⁽¹⁾ وآيات تدعو إلى التفقه. إذ وردت مادة "فقه" في القرآن في نحو عشرين آية ، نذكر منها على سبيل المثال قوله -عز وجل- ﴿.....انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾⁽²⁾ ، وآيات تدعو إلى التذكر. ومن ذلك قوله سبحانه ﴿.....وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁽³⁾. وفي كل ما ورد مما يشير إلى ضرورة النهج في التفكير نمجاً عقلياً.

هناك عدد من الأمور تتم ملاحظتها من خلال النظر في الشريعة :

- 1- أن الله حين طلب إلى العقل النظر إلى الكون للتعرف عليه، إنما كان ذلك من إجماء أو إشارة بأن العقل قد وهبه الخالق -عز وجل- من القدرات والإمكانات ما يعينه بالفعل على أن يدرك الكثير مما في هذا الكون.
- 2- أن العقل البشري لا بد أن يصل إلى مجمل مقصود الله الخالق، من هذا الكون، من حيث دلالاته على وحدانية الله وقدرته لاتحد . وكذلك فلا بد أن يصل إلى العديد من السنن التي أودعها الخالق لتفسير ظواهر الكون المختلفة، وأن إدراك هذه السنن هو الطريق إلى استثمار مفردات الكون وتحقيق مقصود المولى من تسخيرها للإنسان.
- 3- أن من المستحيل على العقل البشري أن يدرك ما في الكون ، وسننه دفعة واحدة، فكما أن الإنسان نفسه يخضع لسنة النمو والتطور، فكذلك معرفته بالكون ، هي في نمو وتطور تنموها حياته وتتطور وتتقدم.

وإذا راجعنا كتب الفقه المختلفة والأصول وكتب مقاصد الشريعة سوف نجد أن " حفظ العقل " هو أحد المقاصد الخمسة للشريعة الإسلامية ، وهو الكلية المقاصدية الشرعية الثالثة التي أقرتها الشريعة، وأثبتتها في كثير من المواضع والمواطن ومن ذلك: اهتمامها بالعقل وجعله شرطاً في التكليف فهماً وتنزيلاً، ومناطقاً في التعامل مع أحوال النفس والكون، اكتشافاً لأسرارها واستنباطاً لقوانينها والاستفادة من خبراتها، وقد أمر الله -عز وجل- الإنسان بالتفكير والتدبير والتأمل وميزه بذلك عن كثير من المخلوقات، كما أثنى سبحانه وتعالى على أصحاب العقول السليمة من المجتهدين والمفكرين والمتدبرين.

(1)سورة الحشر الآية (2).

(2)سورة الأنعام الآية (65).

(3)سورة البقرة الآية (221).

وكل هذا دليل على مكانة العقل في الشريعة الإسلامية، ودوره الملحوظ في فهم الأحكام واستنباطها وتطبيقها.

كما أن العقل قد حفظته الشريعة الإسلامية، واهتمت به من خلال منع ما يعيقه ويعطله، وذلك كمنع المسكرات والمخدرات والمفترات، وكل ما يغيب العقل عن دوره في التكفير والتدبير، وكمنع كثرة السهر ودوامه وقتل الأوقات وإضاعته، كذلك نُهت عن بقاء الجهل وانتشار الأمية، وأمرت بطلب العلم ونشره وتعميمه؛ لأن بقاء العقل معطلاً بالجهل أو الأمية أو غيرها يعد من أسوأ حالات العقل وأفسد سماته وعواقبه.

ومن ضروب العناية بالعقل أيضاً: نجد الشريعة الإسلامية قد جعلت له حدوداً وقيداً لا يتعداها ولا يتجاوزها؛ وذلك لأن إطلاق العقل وتحريره بشكل مطلق يؤدي لا محالة إلى مفاسد لا تقل خطورة عن مفاسد تعطيله وتجميع دوره؛ فحفظ العقل مصان بالوسطية الإسلامية المعهودة بإثبات دوره ومكانته وضبطه بقيود معتبرة وضوابط معلومة.

ومن هنا فإن ربط العلوم الواجب تعلمها بأمر العبادات، إنما هي تلك النظرة التي تحصر الدين في العبادات، أما إذا فهمنا الدين في شموله، فسيكون طبيعياً أن الأمر في مكانه الطبيعي ضمن نظام تعليمي متكامل، تكون مرحلته الأولى شاملة، إلى جانب دراسة العقيدة والعبادات، اللغة العربية بجميع علومها، ومبادئ العلوم الإسلامية

القرآن والسنة والسيرة - والفقه بصورة مبسطة شاملة، والرياضيات وأسسها، والتاريخ والجغرافيا والفيزياء والكيمياء، ومبادئ اللغة الإنجليزية والحاسب الآلي، لأن هذه المرحلة الأولى تمثل القدر (الضروري) من المعرفة الواجب تعلمها في عصرنا الحالي فرضاً عينياً على الجميع رجال ونساء وأطفال.

والمنطق الذي يقوم عليه القول بضرورة النظر إلى العلم كأساس لا بد منه عند النظر إلى مقصد حفظ العقل، أن حفظ العقل ليس قاصراً على مصلحة الفرد بل يمتد لمصلحة الجماعة، ففي الأول يتحقق اكتساب المعارف والمهارات اللازمة لعمارة الأرض وكسب الرزق في نواحي التخصص المهني والحرفي، وفي الثاني تعمل الأمة على الوصول إلى الاكتفاء الذاتي في كل مجالات الحياة الضرورية والحاجية والتحسينية، وتنطلق الطاقات بهذا الدافع الديني، فمن الناس من تقف إمكاناته الذهنية عند حد معين، ومنهم من تسمح إمكاناته بالرقى في مدارج العلم والاجتهاد الإبداعي في شتى المجالات.

المطلب الثاني: نشر العلم بالنسبة للفرد والأمة أو المجتمع.

ومن البديهي أنه لا إعمار ولا إنتاج بغير تعلم، وكلما زاد نصيب الفرد أو الجماعة من التعلم، ومن استغلال حقائق العلم ومدلولاته ومكتشفاته ومخترعاته، كلما تضاعف الإنتاج وتكاثر في شتى المجالات ، فاغتنى الفرد واغتنت الجماعة ، فحيث وجد العلم وجدت الثروة ، وقد خطت البشرية خطوات واسعة ، عندما أصبح العلم والتعلم مقياساً لكل خطوة تحبوها، وكان كل توقف في حياتها أو تخلف في سيرها، أساسه الجهل والظلام والحاجة.

وعلى هذا كان التعلم في تطوره، تسجيلاً لتطور الإنسانية نحو القوة والحضارة، وحيث انطفأ مصباح العلم انتقلت الثروة إلى الغرب ، الذي انكب على مجالات العلم المختلفة يغترف منها بأقصى ما يستطيع من قدرة ، وليس ذلك لأن الشرق فقد موارده ، وأن الغرب قد اكتشف لنفسه موارد جديدة لم تكن له من قبل .

ولأن الإعمار ليس فقط بناء ماديا ، وإنما هو إنساني بالدرجة الأولى كان للتنمية البشرية مكانها المرموق في الأنموذج الحضاري الإسلامي ، إذا ينفرد الإسلام في هذا المجال بنظرة أوسع مدى وأرحب نطاقاً ، فيحرص على أن تكون التنمية البشرية شاملة لكل جوانب الإنسان البدنية والعقلية والروحية، ولذلك نراه يضع الأسس الفعالة لسلامة بدنه من الأسقام، وتنشيطه بالرياضة والعمل، والحفاظ عليه من كل ما يؤذيه أو يوهن قواه أو يعرقل نموه⁽¹⁾. فالشريعة الإسلامية تطلق لعقل الإنسان العنان ليفكر ويتعلم ويبحث ويهتدي ويكتشف ويخترع ويؤلف ويملأ قلبه بحب الإنسانية والعمل لخير البشرية ، وينقي روحه بالعبادات والقيم الفاضلة. وفي هذا يقول رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُجِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُجِبُّ لِنَفْسِهِ"⁽²⁾ وقال أيضا " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ."⁽³⁾.

(1) الإسلام والاقتصاد ، عبد الهادي على النجار . الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة (63) مارس 1983 ص(49) - .

(2) اخرجته الخمسة إلا با داود .

(3) رواه مالك في الموطأ عن أبي سعيد الخدري.

لإن نشر التعلم يحفظ عقل الأمة لأن دخول الخلل على عقول الجماعات وعموم الأمة أعظم من دخوله على عقل الفرد ، ولذلك يجب منع الأمة من تفشي السكر بين أفرادها، وكذلك تفشي المفسدات مثل الحشيش والهروين... ونحوها مما كثر تناوله.⁽¹⁾

والأمر لا يقف عند حفظ عقل الأمة من هذه المفسدات بل يمتد إلى حفظه من تأثير وسائل الإعلام التي تقوم بعمليات غسل المخ بشكل جماعي، وتحاصر العقول فلا تعطئها إلا ما تريد من أخبار وتحليلات ، وما تريد الوصول إليه من تضييع الأوقات بما يضر ولا يفيد، وتعليم العقول مناهج تفكير فاسدة ، وتبرير الخطأ والعصبية الجاهلية ، كما في قوله تعالى على لسان الفراعنة: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾⁽²⁾

المبحث الثالث: الآداب الشرعية لتحقيق التعلم ومقصد حفظ العقل.

جاءت الشريعة بأحكام تقي العقول من الإفساد العضوي كالنهي عن المسكرات والمخدرات ، ومن الإفساد المعنوي بوساطة وسائل الإعلام.

كما جاءت بالدعوة المشددة للتفكير والتعقل والتدبر والنهي عن تقليد الآباء والحكام دون دليل والمطالبة بالبرهان ، ونبد الخرافات.

كما جاءت بفريضة طلب العلم، وفضل العلماء ، والحث على تعلم القراءة والكتابة أساساً ، كما بين العلماء ما يعتبر فرض عين وما يعتبر فرض كفاية من العلوم المختلفة الدينية والدنيوية، كما بينوا آداب العالم والمتعلم.

وفي كل من هذه المراحل هناك ما يعتبر من الضروريات ،وما يعتبر من الحاجيات ، وما من التحسينيات.

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. المحقق: محمد الحبيب ابن

الخنوجة، 2004 م ص (80).

(2) سورة غافر الآية (29).

المطلب الأول: طلب العلم.

الإنسان الذي قبل حمل الأمانة سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، ومنحه قوة إدراكية ، هي الحاجة إلى العلم ، وهي ما تسمى الحاجات الضرورية ، أنت بحاجة إلى أن تأكل لحفظ النفس ، وإلى أن تتزوج لحفظ النسل ، وهناك حاجة علوية راقية أن تعرف الله ، وهي نداء الفطر إلى الله للحفاظ على الدين ، أودع الله فيك قوة إدراكية تتميز بها ، فلذلك لا بد من أن تطلب العلم ، أي علم هذا ؟ هناك علم بخلق هذا الكون : السموات ، الأرض ، المجرات ، المذنبات ، الأرض بجبالها ، بسهولها ، بحيواناتها ، ببهارها ، ببحيراتها ، الأرض ، هذا الكون مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى فهناك علم بخلقه وهذا العلم بخلقه من اختصاص الجامعات في الأرض ؛ كلية العلوم فيزياء ، كيمياء ، طبيعيات ، جمادات ، كلية الطب والهندسة ، العلم بخلقه ، اختصاص الجامعات في الأرض ، وهناك علم بأمره اختصاص كليات الشريعة في العالم الإسلامي افعل ولا تفعل ، بالأمر والنهي والواجب والفرص ، صار عندنا علم بخلقه وعلم بأمره ، كيف أصل إلى العلم بخلقه وإلى العلم بأمره ؟ قال : هناك نشاط أو مجموعة أنشطة تلخص بكلمة واحدة هي المدرسة ، هناك معلم يحمل علماً ، وهناك طالب علم وهناك إلقاء محاضرة وإصغاء للمحاضرة ، و مرجع ، و كتاب ، قراءة الكتاب ، وحفظ الكتاب ، وأداء الامتحانات ، ونيل الشهادات ، هذه العملية المعقدة المتتالية المنوعة بأكملها تسمى المدرسة ، فالعلم بخلقه والعلم بأمره يحتاجان إلى مدرسة ، أولاً : تقرأ وتكتب ثم تحمل شهادة عليا ، تفهم ما قرأت بعمق ثم تحفظ ثم تؤدي امتحاناً وتنال شهادة ، هذا علم بخلقه الكون ، وعلم بأمره الشريعة.

لكن العلم الثالث علم به ، بالأمر ، العلم به ثمة باهظ ، نتائجه رائعة أنت حينما تعرف الله تصبح إنساناً آخر ، عرفته ، عرفت منهجه ، طبقت منهجه ، أقبلت عليه ، حينما يتصل هذا الكائن الضعيف الإنسان بالذات الكاملة بالله عز وجل يشفق منه الكمال :

لِقَوْلِهِ اللَّهُ تَعَالَى : { وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } (1)

لأن طريق العلم والمعرفة هو الموصل إلى الجنة لقوله - ﷺ - ".... فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَعَّه فِي دِينِ اللَّهِ، وَفَعَّه مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَمَنْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " أخرجہ مسلم.

(1) سورة آل عمران الآية (79)

المطلب الثاني: آداب المعلم .

أ- أوجبت الشريعة الإسلامية لمن يعلم الناس حقاً عظيماً يتناسب مع عظمة العلم والمعرفة ، وقد نقل لنا القرآن الكريم رغبة موسى - عليه السلام - وهو من أولي العزم- في طلب العلم ، وكيف صمّم على بلوغ هذه الهدف السامي مهما كانت العوائق ومهما بعد المكان وطال الزمان ، عندما قال: ﴿لَا أُبْرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾⁽¹⁾.

ولما وجد العبد الصالح وضع نفسه موضع المتعلم ، وأعطى لأستاذه حق قيادته وإرشاده، قائلاً: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾⁽²⁾، فإذا نهبه إلى أمر تنبّه ، وإذا انكشف له الخطأ سارع إلى الاعتذار من أستاذه ووعده بالطاعة، وأعطى بذلك درساً بليغاً في أدب المتعلم مع المعلم.

وكان النبي - ﷺ - يصرح بأنه بُعث علماً، ودعا في أحاديث عديدة إلى مراعاة حق العلم والمعلم ، وبين حق التخلّق بالمحاسن التي ورد الشرع بها وجب عليها وأرشد إليها:

لاجتماع مكارم الأخلاق فيه - ﷺ - ويدل عليه قوله - عليه السلام - إن الله بعثني لأتم مكارم الأخلاق ، وقيل لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾⁽³⁾، وقد روي عنه - عليه السلام - أنه قال : أدبني ربي تأديباً حسناً إذ قال خُذِ الْعَفْوَ ، فلما قبلت ذلك منه قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁴⁾. لأن أخلاق المؤمن وصدقه هما الشيء الحاسم في حياته.

- وَأَنْ يُشْفِقَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ، وَأَنْ يُجْرِيَهُمْ مَجْرَىٰ بَيْتِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ⁽⁵⁾ بَأَنْ يَقْصِدَ إِتْقَادَهُمْ مِنْ نَارِ الْأَخْرَةِ، وَهُوَ أَهْمٌ مِنْ إِتْقَادِ الْوَالِدَيْنِ وَلَدَهُمَا مِنْ نَارِ الدُّنْيَا⁽⁶⁾.

(1) سورة الكهف الآية (60)

(2) سورة الكهف الآية

(3) سورة الأعراف الآية (199).

(4) سورة القلم الآية(4).

(5) حديث: " إنما أنا لكم بمنزلة الوالد ". أخرجه سنن أبي داود ، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كابل قره بللي، دار الرسالة العالمية ط(1) 2009 م / 1

18 - 19) من حديث أبي هريرة ؓ وإسناده حسن.

(6) إحياء علوم الدين ، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة - بيروت 1 / 55.

ولذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- آتاه الله الوحي ، آتاه الله الحكمة ، جعله وسيماً فصيحاً بيناً ، لكن حينما أثنى عليه أثنى على خلقه العظيم ، لذلك ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى يقول : " الإيمان هو الخلق، ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان ". الإيمان معلومات وعقائد وتصورات ، وفهم وقوانين ومعادلات ، لكنه وسيلة وليست غاية ، الغاية أن تتخلق بأخلاق الذات الإلهية ، تخلقوا بأخلاق الله ، هذا الخلق هو ثمن الجنة ، أي لو سألتني : ما هو الشيء الحاسم في حياة المؤمن ؟ أخلاقه صادق ، أمين ، عفيف ، يعتمد عليه ، مسؤول ، رحيم ، الله عز وجل قال : ﴿ فَبِمَا ﴾ عند علماء النحو هذه الباء بـاء السبب: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾⁽¹⁾

أي يا مُجِدُّ من خلال اتصالك بنا امتلأ قلبك رحمة بمن حولك ، فلما امتلأ القلب رحمة انعكست الرحمة ليناً ، وهذا اللين دعا الناس إلى أن يلتفتوا حولك ، المعنى المخالف المعاكس ، ولو كنت منقطعاً عنا لامتلاً القلب قسوة ، ولا نعكست القسوة غلظة ، عندئذ ينفذ الناس من حولك ، والآية هذه يحتاجها كل أب ، وكل أم ، وكل معلم ، وكل مدرس ، وكل أستاذ، وكل مرشد ، وكل إنسان يحتل منصباً قيادياً ، من أصغر منصب قيادي إلى أعلى منصب قيادي ، هذا الذي يقود مجموعة من الناس إذا كان متصلاً بالله يمتلئ قلبه رحمة ، وهذه الرحمة تنعكس ليناً ، وهذا اللين يجعل من حوله يلتفون حوله ، وكل صاحب منصب قيادي بحاجة إلى هذه الآية لقوله تعالى : ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁽²⁾.

وَأَنْ لَا يَتَّعِظَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ، بَلْ يَلِينُ لَهُمْ وَيَتَوَاضَعُ. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَوَاضَعُوا لِمَنْ عَلَّمَكُمْ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جِبَّارِي الْعُلَمَاءِ⁽³⁾

وَأَنْ يَتَفَقَّدَ الْمُتَعَلِّمِينَ، وَيَسْأَلُ عَمَّنْ غَابَ مِنْهُمْ، وَيَبْنِي أَنْ يَكُونَ بَادِلاً وَسَعُهُ فِي تَفْهِيمِهِمْ وَتَقْرِيْبِ الْقَائِدَةِ إِلَى أَذْهَانِهِمْ⁽⁴⁾. مراعاة الفروق الفردية للمتعلمين ، وَأَنْ يَفْتَصِرَ بِالْمُتَعَلِّمِ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِ، فَلَا

(1) سورة آل عمران الآية(159)

(2) سورة الشعراء الآية (215).

(3) المجموع 1 / 57، الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: مُجِدُّ بن مفلح بن مُجِدُّ بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي

الراميني ثم الصالحى الحنبلي ،عالم الكتب 1 / 254.

(4) المجموع 1 / 58

يُلْقِي إِلَيْهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ عَقْلُهُ، فَيَنْقُرُهُ أَوْ يَخْطِبُ عَلَيْهِ عَقْلَهُ، اقْتِدَاءً فِي ذَلِكَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ⁽¹⁾ حَيْثُ قَالَ: أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ⁽²⁾.

وَأَنْ يَكُونَ غَامِبًا يَعْلِمُهُ فَلَا يَكْدِبُ قَوْلُهُ فِعْلُهُ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يُدْرِكُ بِالْبَصَائِرِ وَالْعَمَلَ يُدْرِكُ بِالْأَبْصَارِ، وَأَرْبَابُ الْأَبْصَارِ أَكْثَرُ⁽³⁾.

ب - آدابُ الْمُتَعَلِّمِ:

يَنْبَغِي أَنْ يُطَهَّرَ قَلْبُهُ مِنَ الْأَنَا لِيَصْلُحَ لِقَبُولِ الْعِلْمِ وَحِفْظِهِ وَاسْتِثْمَارِهِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ⁽⁴⁾

وَيَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِمُعَلِّمِهِ وَيَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْإِحْتِرَامِ، وَيَرَى كَمَالَ أَهْلِيَّتِهِ " وَرُجْحَانَهُ عَلَى أَكْثَرِ طَبَقَتِهِ، فَذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى اتِّفَاعِهِ بِهِ وَرُسُوخِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ فِي ذَهْنِهِ. كما فعل سيدنا موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح

- وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَبَعَثَهُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ لِلْمُعَلِّمِ عَلَى قَبُولِ الشُّبْهَةِ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَيِّنَ مُعَلِّمَهُ بِالسُّؤَالِ، وَلَا يَدْعُوهُ تَرْكُ الْإِعْنَاتِ لِلْمُعَلِّمِ إِلَى التَّقْلِيدِ فِيمَا أَخَذَ عَنْهُ. وَلَيْسَتْ كَثْرَةُ السُّؤَالِ فِيمَا التَّبَسُّرِ إِعْنَاتًا، وَلَا قَبُولُ مَا صَحَّ فِي النَّفْسِ تَقْلِيدًا⁽⁵⁾. إِلَّا أَنَّهُ لَا يُلِخُ فِي السُّؤَالِ إِحْطَا مُضْجَرًا، وَيَعْتَنِمُ سَوْأَلَهُ

(1) إحياء علوم الدين 1 / 57، والآداب الشرعية 2 / 164.

(2) حديث: " أنزلوا الناس منازلهم " أخرجه أبو داود (5 / 173 تحقيق عزت عبيد دعاس) من حديث عائشة رضي الله عنها. وقال أبو داود: ميمون . يعني ابن أبي شبيب الراوي عن عائشة . لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

(3) إحياء علوم الدين 1 / 58، وانظر جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط (1)، 1994 م 1 / 125 وما بعدها.

(4) حديث: " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله. " أخرجه البخاري (الفتح 1 / 126)، وصحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (3 / 1220) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما

(5) المجموع 1 / 36، وإحياء علوم الدين 1 / 50، وكتاب أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي. دار مكتبة الحياة، ص 32. 34، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ص 86 ط حيدر آباد 1353 هـ.

عِنْدَ طِيبِ نَفْسِهِ وَفَرَاعِهِ، وَيَتَلَطَّفُ فِي سُؤَالِهِ وَيُحْسِنُ خِطَابَهُ⁽¹⁾. لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن نَسَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾⁽²⁾. وقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾

- وَلِيَأْخُذِ الْمُتَعَلِّمُ حَظَّهُ مِمَّنْ وَجَدَ طَلَبْتَهُ عِنْدَهُ مِنْ نَبِيهِ وَخَامِلٍ، وَلَا يَطْلُبُ الصَّبِيَّتْ وَحُسْنَ الذِّكْرِ بِاتِّبَاعِ أَهْلِ الْمَنَازِلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، إِذَا كَانَ النَّفْعُ بَعِيْرِهِمْ أَعْمَ، إِلَّا أَنْ يَسْتَوِيَ النَّفْعَانِ فَيَكُونُ الْأَخْذُ عَمَّنِ اشْتَهَرَ ذِكْرَهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ أَوْلَى، لِأَنَّ الْإِنْتِسَابَ إِلَيْهِ أَجْمَلَ وَالْأَخْذَ عَنْهُ أَشْهَرُ⁽⁴⁾.

- وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَرِيصًا عَلَى التَّعَلُّمِ مُوَظِّبًا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ، لَيْلًا وَنَهَارًا حَضْرًا وَسَفَرًا، وَلَا يُذْهَبُ مِنْ أَوْقَاتِهِ شَيْئًا فِي غَيْرِ الْعِلْمِ إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ لِأَكْلِ وَنَوْمٍ قَدْرًا - لَا بُدَّ مِنْهُ - وَخَوْهَمَا مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ.

- وَمِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ، وَأَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ عَالِيَةً، فَلَا يَرْضَى بِالْبَسِيرِ مَعَ إِمْكَانِ كَثِيرٍ، وَأَنْ لَا يُسَوِّفَ فِي اشْتِعَالِهِ وَلَا يُؤَخَّرَ تَحْصِيلَ فَائِدَةٍ، وَإِنْ قَلَّتْ: إِذَا تَمَكَّنَ مِنْهَا، وَإِنْ أَمَلَ حُصُولَهَا بَعْدَ سَاعَةٍ، لِأَنَّ لِلتَّأَخِيرِ آفَاتٍ، وَلَأَنَّ فِي الرَّيْمَنِ الثَّانِي يَحْصُلُ غَيْرُهَا⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: الأسباب المعينة على طلب العلم، وهي كثيرة، نذكر منها.

أولاً: الإخلاص وصدق النية

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً﴾⁽⁶⁾.

وقال ﷺ: "بشر هذه الأمة بالسنة والتمكين في البلاد، والنصر والرفعة في الدين، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدين فليس له في الآخرة من ... نصيب"⁽⁷⁾.

(1) المجموع 1 / 37.

(2) سورة المائدة الآية (101).

(3) سورة النحل الآية (43).

(4) كتاب أدب الدنيا والدين ص 34.

(5) المجموع 1 / 37، 38.

(6) سورة البينة الآية (5).

(7) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (5/ 134)، و الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن

حبان بن معاذ بن مقبذ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)

قال ﷺ: " من طلب العلم ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار" (1).

فهذا الحديث الخطير قاضٍ بأنَّ على طالب العلم أن يصحح نيته في طلبه، فلا يكون إلا لله وحده، يبتغي عنده الرضوان، ويرجو لديه الثواب، لا ليرتفع به في أعين الناس، ويعلو به فوق أعناقهم، ويركب به أكتافهم، ولكن :

كيف يصحح طالب العلم نيته؟ أو بمعنى آخر ماذا ينوي؟

قال ابن جماعة: حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به، وتنوير قلبه، وتحلية باطنه، والقرب من الله تعالى يوم القيامة، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه، وعظيم فضله. ... قال سفيان الثوري: ما عاجلت شيئاً أشد عليّ من نيتي. ... ولا يقصد به الأغراض الدنيوية؛ من تحصيل الرياسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس ونحو ذلك، فيستبدل الأدنى بالذي هو خير.

ثانياً: التقوى:

وهي وصية الله للأوليين والآخرين من عباده، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (2)

ثالثاً: المثابرة والاستمرار على طلب العلم:

يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه وأن يحتفظ به بعد تحصيله، فإن العلم لا يُنال براحة الجسم، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم وهو مُثاب على ذلك؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة" (3).

حقيقه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (1) 1988 م ، (2/ 132) برقم (405)، والحاكم في المستدرک (4/ 346) وقال: صحيح الإسناد و وافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2825).

(1) أخرجه سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط (1) 2009 م (253) في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6158).

(2) سورة النساء الآية (131) .

(3) صحيح: رواه مسلم 2699، والترمذي 2641، وأبو داود 3643.

فليثابر طالب العلم ويجتهد ويسهر الليالي ويدع عنه كل ما يصرفه أو يشغله عن طلب العلم.

رابعاً: الحفظ:

فيجب على طالب العلم الحرص على المذاكرة وضبط ما تعلمه إما بحفظه في صدره، أو كتابته، فإن الإنسان عرضة للنسيان، فإذا لم يحرص على المراجعة وتكرار ما تعلمه فإن ذلك يضيع منه وينساه .

خامساً: ملازمة حضور الدروس:

يجب على طالب العلم أن يستعين بالله عز وجل ثم بأهل العلم، ويستعين بما كتبوا في كتبهم؛ لأن الاقتصاد على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل بخلاف من جلس إلى عالم يبين له ويشرح له وينير له الطريق، والمقصد الأصلي في الشريعة الإسلامية لحضور المحاضرات: التحصيل العلمي والتزود بالمعارف والفنون، المقصد التابع لحضور المحاضرات والحضور، والمشاركة والانتباه. ولذلك جعل الحضور شرطاً تابعاً ومكماً لتحصيل العلم؛ إذ لو انعدم الحضور لعدم المقصد الأصلي، والذي هو تحصيل العلم وترسيخ المعارف في النفس⁽¹⁾.

سادساً: الخروج في طلب العلم .. وتحمل المشقة في طلبه والاستكثار منه .. ولزوم التواضع في كل حال:

1 - قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽²⁾

2 - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْقَزَائِرِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ حَضِرٌ، فَمَرَّ بِهَيْمَةَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقَيْهِ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا حَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: " أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ؟ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَدْكُرُهُ قَالَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَوَجَدَا حَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ»⁽³⁾.

(1) . انظر علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي. ط(1)، 2001م، مكتبة العبيكان، الرياض، ص(156)-

(157)،

(2) سورة طه الآية (114).

(3) متفق عليه .

الخاتمة

- ويؤكد التعريف على ضرورة أن ينضبط ترتيب التعلم بالضوابط الشرعية المثبوتة في القرآن والسنة.
- الحث على الفهم الصحيح للواقع الذي تعيشه الأمة، وفهم المقاصد الكلية والأهداف الرئيسة من التعاليم والمبادئ التي جاءت بها الشريعة، فإدراك الواقع الذي يحيط بالأمة وفهمه هو حريٌّ
- الحث على القراءة والتأمل والتفكير في الكون ومقاومة الأمية والجهل والسحر والشعوذة والدجل؛ لأجل الحفاظ على العقل ومكانته ودوره ورسالته في فهم الشرع وتطبيقه في الواقع والحياة.
- الحث على العمل والإنتاج والسعي؛ لأجل تحصيل القوت، وتبادل المنافع، وسد الحاجات والضرورات والمطالب اللازمة في استقرار الحياة وتواصلها ونمائها.
- المقصد الأصلي لطلب العلم: التبعد والطاعة والبيان والتعليم والتبليغ.
- المقاصد التابعة لطلب العلم هو تحصيل الشرف العلمي، ونفوذ القول، وجلب الاحترام والمناقب الحميدة والمآثر الحسنة.
- ففي طلب العلم، يكون المقصد الأعلى التعلق بالتعبد والطاعة وتخليص نية المتعلم والعالم من الشرك والرياء وحب السمعة والشهرة، ولذلك وقع التأكيد في مواضع كثيرة، وبصيغ وكيفيات قاطعة وملزمة على تحري ذلك المقصد وتحصيله وملازمته.
- أما المقصد التابع فيتمثل في شرف المرتبة، ونفوذ القول، وجلب الاحترام والتقدير، وحظ التقديم والتفضيل، وغير ذلك ما هو مرجو، ومقصود من قبل صاحب العلم وعموم الناس، ولا يحتاج إلى زيادة التشديد في طلبه والتأكيد على فعله واستحضاره؛ ففطرة الإنسان آيلة إليه، وطباع البشر وجبالهم تنشده وتسعى إليه، وتجاهد من أجل تحصيله وتحقيقه.
- تعليم الانتباه على الأفكار التي تبثها وسائل الاعلام؛ لان العالم اصبح قرية صغيرة لا تستطيع السيطرة على وسائل الاعلام والنت وغيرها، ولكن عن طريق التعلم وطرق التفكير الصحيحة نستطيع الحفاظ على العقل الإسلامي والعربي من السموم التي كانت سبباً في تأخر العالم العربي بصفة خاصة والإسلامي بصفة عامة.
- التوصيات
- الاهتمام بالعلوم وتصنيف العلوم حسب الأحكام الشرعية لها .

- انشاء تجمع إسلامي عربي لدراسة العلوم وأولويات العلوم التي تكون سبب نهضة الأمة العربية الإسلامية.
- إقامة المؤتمرات والندوات في البحث عن أسباب انحطاط الأمة العربية الإسلامية وانحراف التفكير والاهتمام بالعلوم التي تساعد على تصحيح مسار العقل حسب مقصد الشرع من العقل البشري والاهتمام بأولويات العلوم التي تساعد على ذلك.
- الاهتمام بمقصد حفظ العقل من خلال الاهتمام بالعلوم التي تساعد العقل على طريقة التفكير والتدبر الصحيح وفق فقه التعلم ومقاصد الشريعة.
- نرى أن حال الأمة فيه شيء من الانحراف في التفكير وهو ناتج عن الانحراف في بعض العلوم .
- إعادة تصنيف العلوم حسب الأهمية للمرحلة القادمة حتى نصل بالعقل البشري إلى الطريق الصحيح في التفكير والتدبر، وذلك بتقديم العلوم الصحيحة والاهم منها فالأهم.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان .المؤلف: مُجَدِّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم ، الدارمي، البُستي، ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (1) 1988 م ، (2/ 132) برقم (405)
- 2- إحياء علوم الدين ،المؤلف: أبو حامد مُجَدِّد بن مُجَدِّد الغزالي الطوسي ، دار المعرفة - بيروت 1 / 55.
- 3- الاجتهاد المقاصدي حجيته، ضوابطه ،مجالاته، نور الدين الخادمي
- 4- أدب الدنيا والدين ،المؤلف: أبو الحسن علي بن مُجَدِّد بن مُجَدِّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي .دار مكتبة الحياة .
- 5- الإسلام والاقتصاد ، عبد الهادي على النجار .الكويت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب سلسلة عالم المعرفة (63) مارس 1983
- 6- إعلام الموقعين عن رب العالمين ،المؤلف: مُجَدِّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية .تحقيق: مُجَدِّد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط (1) - 1991 م .
- 7- جامع بيان العلم وفضله ،المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُجَدِّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ،تحقيق: أبي الأشبال الزهيري ،دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط (1)، 1994 م.
- 8- رد المختار على الدر المختار، المؤلف: ابن عابدين، مُجَدِّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي .دار الفكر-بيروت ، ط(2) 1992م .
- 9- سنن ابن ماجه ،المؤلف: ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله مُجَدِّد بن يزيد القزويني .المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط (1) 2009 م
- 10- سنن أبي داود ،المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ،المحقق: شعيب الأرنؤوط - مُحَمَّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية ط(1) 2009 م
- 11- شرح المواظف للجرجاني. ط. مطبعة السعادة 1325هـ؛

- 12- صحيح مسلم ،المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ،المحقق: مُجَدُّ فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- 13- علم المقاصد الشرعية ،لنور الدين الخادمي ،مكتبة العبيكان ،الرياض ،السعودية ،ط(1)،1421هـ،2001م
- 14- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُجَدُّ فؤاد عبد الباقي، (10 / 548) من حديث ابن عمر.
- 15- فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب = القول المختار في شرح غاية الاختصار (ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع)، المؤلف: مُجَدُّ بن قاسم بن مُجَدُّ بن مُجَدُّ، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغراييلي . بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي. الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ،ط(1)، - 2005 م .
- 16- فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بمحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب) المؤلف: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل .دار الفكر .
- 17- لسان العرب المؤلف: مُجَدُّ بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت ،ط(3) - 1414 هـ (13 / 522) .
- 18- لكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي ، أبو البقاء الحنفي . المحقق: عدنان درويش - مُجَدُّ المصري .مؤسسة الرسالة - بيروت 3 / 204 وما بعدها؛
- 19- المجموع شرح المهذب ،المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي .دار الفكر
- 20- المستصفي ،المؤلف: أبو حامد مُجَدُّ بن مُجَدُّ الغزالي الطوسي .تحقيق: مُجَدُّ عبد السلام عبد الشافي ،دار الكتب العلمية، ط(1)، 1413هـ - 1993م.
- 21- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن مُجَدُّ بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس .المكتبة العلمية - بيروت، مادة "علم".

- 22- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن مُجَدِّ المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط(1) - 1412 هـ .
- 23- مقاصد الشريعة الإسلامية، المؤلف: مُجَدِّ الطاهر بن مُجَدِّ بن مُجَدِّ الطاهر بن عاشور التونسي المحقق: مُجَدِّ الحبيب ابن الخوجة، 2004 م .
- 24- مَقَائِيسُ اللَّغَةِ لِأَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسِ بْنِ زَكَرِيَّا. لمحقق: عبد السلام مُجَدِّ هارون ، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- 25- الموافقات ، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن مُجَدِّ اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي .المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان . دار ابن عفان
- 26- نحو تفعيل مقاصد الشريعة .د. جمال الدين عطية. دار الفكر ،دمشق -سورية
- 27- نظرية المقاصد عند الشاطبي ،أحمد الريسوني.
- 28- نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني ، توفيق مُجَدِّ سبع . القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، 1971.ج(1).
- 29- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ،المؤلف: شمس الدين مُجَدِّ بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي . دار الفكر، بيروت، ط (أخيرة) - 1404هـ/1984م .